الفصل الثانى

خلق ذرية آدم عليه السلام

يتبع خلق آدم وزوجه عليهما السلام ، خلق ذريتهما ، ونسلهم من ماء مهين، ومن عناصر تكوينهم التراب ، لورائتهم الصفات الجسمية والعقلية والنفسية ، واصطفاهم الله تعالى ، ونفخ فيهم من روحه .

قال تعالى : ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ،وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ، قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (٥) .

---

(١) السجدة : ٧ - ٩ (٢) المؤمنون : ١٢ - ١٤ (٣) النساء : ١

(٤) الأنعام : ٩٨ (٥) الأعراف : ١٨٩

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً ﴾ (١).

لقد جعل الله تعالى التناسل وسيلة لبقاء النوع الإنسانى على الأرض عن طريق التزاوج بين الذكر والأنثى ، وأنشأ بينهما المودّة والرحمة .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاته أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

ولقد جعل الله الغريزة الجنسية فطرة إنسانية ، لا ترجع إلى إرادة الإنسان نفسه ، بل جعلها غريزة مستمرة مطردة مع الإنسان ، وتتطلب على الدوام إشباعها بعد البلوغ ، على العكس من بعض الحيوانات كالبقر والخيل ... التى تشعر فى وقت معين بميل جنسى فى حاجة إلى إشباعه (٣) وذلك لما يتمتع به الإنسان من الإرادة فى عملية تنظيم إشباع هذه الغريزة ، بطريقة محدّدة ومشروعة - النكاح الشرعى - الذى من ثمراته النسل المُحبّب إلى النفس والمُرغّب فيه .

قال تعالى : ﴿ كٓهيعٓصٓ * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً * قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ العَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً * وَإِنِّى خِفْتُ المَوَالِىَ مِنْ وَرَاءِى وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِراً فَهَبْ لِى مِنْ لَّدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ، وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (٦) .

---

(١) فاطر : ١١ (٢) الروم : ٢١

(٣) خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ص ٦٨ - ٦٩

(٤) مريم : ١ - ٦ (٥) الفرقان : ٥٤ (٦) النحل : ٧٢

إن لعملية التزاوج بين الذكر والأنثى أهمية كبيرة فى الحياة الإنسانية ، لما يترتب عليه من وجود إنسان يختلف حتى عن والديه وإخوانه فى الصفات الجسمية والعقلية والنفسية فى بناء الحياة الإنسانية وإثرائها [١] .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاته خَلْقُ السَّمَوَات والأرْض وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ للَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَآءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وإِنَاثاً ، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً ﴾ [٣] .

كما أن لعملية التزاوج غاية عظيمة فى بناء الحياة الاجتماعية ، لما تقوم به من تقسيم للمجتمع إلى وحدات إدارية صغيرة - الأسرة - تُبنى فى داخلها الكثير من العواطف والقيَم والمُثل المتوازنة داخل الأسرة من جهة ، وفى علاقة هذه الأسرة بالمجتمع من جهة أُخرى .

ونحن نرى الوظائف المختلفة التى يحتاج إليها المجتمع فى شتَّى جوانبه ، والتى تتطلب أن يُوضَع الإنسان المناسب فى المكان المناسب ، حسب قدراته واستعداداته .

والتشريع السماوى الصحيح يُطالب بذلك ، ويغمر النفوس بتقوى اللّه ، لتقتدر على القيام بواجبها ، بل ويُطالِب كل فرد على حدة بأن لا يضع نفسه فى غير مكانه المناسب .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّه أَتْقَاكُمْ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ، إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [٥] .

---

(١) د . عبد الحافظ محمد حلمى : الوراثة . دار القلم بالقاهرة ، ١٩٦٣ م ، ص ٧٧

(٢) الروم : ٢٢ (٣) الشورى : ٤٩ - ٥٠

(٤) الحجرات : ١٣ (٥) النساء : ١

وعن ابن عمر أنه قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته - والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته - قال : وحسبتُ أن قد قال : والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته - وكلكم راع ومسئول عن رعيته »[1] .

وإن الإنسان يرى فى عملية الخلق عن طريق التزاوج الكثير من العبر والمواعظ ، حيث تجعله يرى مراحل خلقه على أطوار متلاحقة ، وبديعة ، الأمر الذى يجعل إعادة هذا الخلق بعد الممات أهون وأيسر من ابتدائه وإنشائه .

قال تعالى : ﴿ قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِىءُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾[6] .

* * *

• مراحل خلق ذرية آدم :

من خلال تتبع الآيات القرآنية المتصلة بهذا الموضوع نجد أن القرآن الكريم حدَّد مراحل الخلق الأساسية فى ثلاث :

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب : الجمعة فى القرى والمدن ، جـ ١ ص ٢١٥

(٢) عبس : ١٧ - ٢١ (٣) الواقعة : ٥٨ - ٥٩ (٤) الروم : ٢٧

(٥) العنكبوت : ١٩ (٦) يونس : ٣٤

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فى قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحماً ثُمَّ أنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ (١) .

حيث تنص الآية على مرحلة النطفة والعلقة والمضغة .

١ - مرحلة النطفة :

وهى أول مرحلة فى خلق ذرية آدم عليه السلام ، والتى تتكون بالتزاوج بين الذكر والأنثى ، عن طريق تلقيح الحيوان المنوى للبويضة . فتتحد الخليتان -الحيوان المنوى والبويضة - فى خلية واحدة ، تتكون من (٤٦) من الصبغيات ، أو الجسيمات الملوّنة ، لكل من الذكر والأنثى (٢٣) من الصبغيات (٢) ، فهذه الخلية هى النُطفة والأمشاج ، حيث إنها تتكون من اختلاط الصبغيات لكل من الذكر والأُنثى .

قال تعالى : ﴿ إنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ (٣) .

فـ « أمشاج » بمعنى أخلاط (٤) .

وعن طريق تضاعف المواد المكوِّنة للصبغيات فى الخلية (النطفة) ، ينشطر كل جسم إلى قسمين متماثلين ، ثم تنقسم الخلية إلى خليتين ، ثم إلى أربع ، ثم إلى ثمان ، ... وهكذا (٥) . دون زيادة فى حجم البويضة ، وتسير فى البوق إلى الرحم ، بفعل تيارات مصلية (٦) .

---

(١) المؤمنون : ١٢ - ١٤

(٢) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٢

(٣) الإنسان : ٢

(٤) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ، ص ٤٦٩

(٥) د . عبد الغنى عبود : الإنسان فى الإسلام والإنسان المعاصر . ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ، ط ١ ، فبراير ١٩٧٨ م ، ص ٢٠ .

(٦) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٢

وتظل هذه النطفة حرة فى الرحم ، حتى نهاية الأسبوع الأول منذ بدء عملية التلقيح ، لتنتهى بمرحلة العَلَقة [١] .

قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَنُقِرُّ فِى الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [٣] .

وقد كانت العرب ، وبعض الأمم ، تعتقد أن تكوين الجنين إنما يكون من الرجل ، وليس للمرأة إلا الحمل والرعاية ... وليس كذلك ، بل إن الجنين يتكوَّن من عملية التلقيح بين الحيوان المنوى للرجل والبويضة للأنثى ، ليُكوِّنا خلية واحدة - كما سبق - تحمل الصفات الوراثية لكل منهما ، وهى النُطفة التى جاء وصفها فى القرآن الكريم بـ « نُطفةٍ أمشاجٍ » [٤] .

ويحسن أن نقوم بشىء من التوضيح لكل من الحيوان المنوى والبويضة ، قبل أن نواصل الحديث فى مراحل الخلق .

(أ) الحيوان المنوى : إن الرجل يقذف فى القذفة الواحدة فيما بين

---

(١) عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان . دار المعارف ، القاهرة ، جـ ١ ص ١٠.

(٢) القيامة : ٣٦ - ٤٠ (٣) الحج : ٥

(٤) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن . الدار السعودية للنشر والتوزيع ، طـ ٢ ، ١٤٠١ هـ ، (١٩٨١ م) ، ص ٨٦

٢٠٠ - ٣٠٠ مليون حيوان منوى [١] ، وله رأس مُصفَّح مُدبَّب من الأمام ، وذيل طويل يُساعده على السباحة ، والحركة ، فى شق طريقه فى السائل المنوى القلوى إلى أحد قناتى الرحم ، مكان وجود البويضة [٢] .

والحيوان المنوى يبلغ حجمه (٥٥ ميكرون) [٣] ، ويكون التلقيح مع حيوان منوى واحد غالباً ، ورأسه (٥ ميكرون) ، وهو المهم فى عملية التلقيح [٤] .

وسبب كثرة الحيوانات المنوية ، أنها ليست كلها صالحة للتلقيح ، وما يتعرض إليه الكثير منها من الموت ، بسبب وجود الإفرازات الحامضية فى مهبل المرأة ، فلا يصل منها سالماً معافى إلى قناة الرحم إلا خمسمائة حيوان منوى تقريباً [٥] .

كما يجب الإشارة إلى أن السائل المنوى للرجل قلوى ، يُغذِّى الحيوانات المنوية ، ويحميها من الموت بسبب الإفرازات الحامضية لمهبل المرأة قبل عملية التلقيح ، كما يساعد على انتقالها من الخُصية إلى الرحم [٦] .

(ب) البويضة : وهى أكبر حجماً من الحيوان المنوى ، لما ستتحمله من تغذية للجنين فى مرحلة « النطفة الأمشاج » حتى تصل إلى مرحلة العَلَقة .

وفى كل من الخُصية والمبيض تتكون خلايا تحتوى (٤٦) من الصبغيات ، ثم تقوم بانقسام اختزالى إلى خليتين ، تحتوى كل خلية على (٢٣) من الصبغيات،

---

(١) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) ط ٢ ، عالم الكتب ، ١٩٧٢ م ، ص ٧٦

(٢) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٣

(٣) الميكرون : ١ على ... ر..ا من المتر .

(٤) خالص جلبى ، الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٣

(٥) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٧٧

(٦) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٧٦

بحيث إذا التقى الحيوان المنوى مع البويضة عند التلقيح ، يتكوّن منهما خلية تحتوى على (٤٦) من الصبغيات ، وتحمل الصفات الوراثية لهما بالتساوى [١].

وإذا لم يكن التلقيح فى مدة أقصاها (٢٤ ساعة) منذ خروج البويضة من المبيض فإنها تموت ، ويبدأ المبيض فى الإعداد لإخراج بويضة أُخرى [٢] .

وهذه الصفات الوراثية المختلطة بين الرجل والمرأة ، التى تنتقل إلى الأبناء دون تماثل بين الأُصول والفروع ، بل إن كل من الأبناء تجده متميزاً عن الآخر على الرغم من أنهم جميعاً من أب وأم ولو كانوا توأمين [٣] .

وبما أن البويضة واحدة ، والحيوانات المنوية كثيرة جداً ، وهى ذات صفات وراثية مختلفة ، جسمياً ، وعقلياً ، ونفسياً ، فإننا نُدرك مدى تدخل القُدرة الإلهية فى الاختيار بين هذه الحيوانات المنوية التى تُعَد بالملايين ، ليقع التلقيح مع واحد منها فقط غالباً [٤] .

عن ابن عباس رضى اللّه عنهما عن النبى ﷺ قال : « أما إن أحدكم إذا أتى أهله وقال : بسم اللّه ، اللّهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فرُزقا ولداً لم يضره الشيطان » [٥] .

---

(١) د . عبد الحافظ محمد حلمى : الوراثة (مرجع سابق) ص ٧٧

د . فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو (من الطفولة إلى الشيخوخة) . دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٧٥ م ، ص ٣٧

(٢) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٢

(٣) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٢

د . عبد الحافظ محمد حلمى : الوراثة (مرجع سابق) ص ٧٧

د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٠

(٤) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٧٨

د . فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو (مرجع سابق) ص ٣٧ - ٣٨

د . عبد الحافظ محمد على : الوراثة (مرجع سابق) ص ٧٧

(٥) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، صفة إبليس وجنوده ، جـ ٤ ص ٩١

كما وجد علم الأجنة - أن الحيوان المنوى هو الذى يُحدِّد جنس الجنين ، وأن رأس الحيوان المنوى المذكر يتصف باللمعان [١] كما تتصف البويضة بأنها كالبدر ، وذو تاج مُشِع [٢] .

فالحيوان المنوى يحتوى على (٢٣) من الصبغيات ، منها (٢٢) من الصبغيات تتعلق بالصفات الجسمية ، و (١) من الصبغيات يتعلق بجنس الجنين ولقد رمز علم الأجنة لصبغة المذكر (Y) ، والأُنثى (X) ، أما البويضة فلا تحمل إلا جنساً واحداً من الصبغيات (X) فإذا اتحد حيوان منوى يحمل صبغة المذكر (Y) مع بويضة كان الجنين مذكراً ، وإذا اتحد مع البويضة حيوان منوى ذو صبغة (X) كان الجنين مؤنثاً ، فالخلية المكوِّنة للمذكر يُرمز لها ب (XY) ، والمؤنثة بـ (XX) [١] .

قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى ﴾ [٤] .

ويحسن هنا أن نتساءل عن المراد بـ « مَنِيٍّ يُمْنَى » هل المراد به السائل المنوى للرجل الذى يحمل الحيوانات المنوية من الخصية إلى الرحم ، ويُغذيها ؟ وهل للمرأة سائل منوى له علاقة فى الحمل ؟ وكما سبق فإن إفرازات المهبل الحامضية ليس لها علاقة فى تكوين الجنين ، وإنما أهميتها تكمن فى حماية المهبل والرحم من الجراثيم وفى تسهيل عملية ولوج قضيب الرجل ، وعلى ذلك فإن تكوين النطفة ليس له علاقة فى إفرازات المهبل ، كما أن إفرازات عنق الرحم القلوية

---

(١) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٦٥

(٢) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٩

(٣) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٧ بتصرف

(٤) القيامة : ٣٦ - ٤٠

ليس لها علاقة فى تكوين الجنين ، وإن كانت تُساعد وتُغذِّى الحيوانات المنوية بالإضافة إلى إفرازات الرجل القلوية [١] ، حيث لا يلزم وجودها .

ولذلك نستبعد أن تكون مرادة فى نص الآية فى قوله تعالى : ﴿ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾ .

وعلى هذا يكون المراد بها السائل المنوى للرجل فقط ، لأنه هو الذى يحمل ويُغذِّى الحيوانات المنوية من الخصية إلى الرحم ، والتى سيتحد واحد منها غالباً مع البويضة ، وتكون هنالك إشارة إلى مَنِّى الرجل حيث إنه لا يمكن التكوين لواحد منهما دون الآخر ، فاكتُفِىَ بذكر ماء الرجل ، ويكون المراد بالمنِّى فى الآية السائل المنوى للرجل والضمير فى قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ﴾ . يعود إلى السائل المنوى للذكر ، وعلى هذا فهو الذى يرجع إليه تحديد جنس الجنين ، كما ثبت ذلك فى علم الأجنة .

وقد يقول قائل : إن البويضة تخرج من المبيض بفعل انفجار حويصلة إجراف [٢] ، المليئة بالماء الأصفر ، عند نموها وامتلائها بسائل هرمونى ، ليساعد البويضة على الانتقال إلى بوق قناة الرحم ، وهذا السائل يساعدها على الانتقال والحركة ، ويُغذِّيها ، فمهمته هى مهمة السائل المنوى للرجل [٣] .

وإنه يجب معرفة أن هذا السائل المندفق من المبيض يكون لمرة واحدة فى الشهر ، وأن هذا السائل يندفق إلى نسمة البطن ، ويثير الميل الجنسى لدى المرأة [٤] ، وعلى هذا فإن هنالك لكل من الرجل والمرأة ماءً دافقاً يتعلق

---

(١) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص . ٣٩
د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٦

(٢) حويصلة إجراف : كيس يمتلىء بالسائل بين البويضة والخلايا المحيطة بها ، وينمو حتى ينفجر فتخرج منه البويضة . انظر : د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص . ٧

(٣) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٢
د . عبد الوهاب حمودة : القرآن وعلم النفس . دار القلم بالقاهرة ، ١٩٦٢ م ص ٤٩ - ٥٣

(٤) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص . ٧

بالحيوان المنوى والبويضة اللّذين منهما يتكوّن الجنين ، ويمكن أن يُستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (١) .

ولكن فى قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ (٣) .

فإن فى « جعل » المراد بـ « خلق منه الزوجين الذكر والأنثى » ماء الرجل يكون له معنى زائد ، وهو أن الرجل هو الذى يُحدِّد جنس الجنين ، وهوما يتفق مع علم الأجنة .

وإن وصف الماء بـ « مهين » فى قوله تعالى : ﴿ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ لا يمكن أن يلحق ماء المرأة الذى يخرج فى كل شهر مرة ، ولا علاقة له بالجماع ، كما أن الإنسان لا يراه ، بحيث يكون مهين أو محتقر عنده ، إنما الذى يراه ، ويحتقره ، ويسكبه بفعله ، هو السائل المنوى للرجل ، أما سائل المهبل الحامضى للمرأة ، والذى يظهر أنشاء الجماع فلا علاقة له فى تكوين الجنين .

ومن هنا نُرجِّح أن يكون المراد بـ « الماء المَهين » ماء الرجل ، وكذلك « مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى » لما يتضمنه من معنى زائد ، وصحيح .

كما يجب الإشارة إلى أن مصدر تكوين الحيوان المنوى والبويضة الخصية والمبيض ، اللّذان يرتبط شريانهما ، ووريدهما ، وأعصابهما فى موضع بين الصلب (العمود الفقرى) والترائب (الأضلاع) ، ومنهما يكون تغذيتهما ،

---

(١) الطارق : ٥ - ٧ (٢) القيامة : ٣٦ - ٤٠ (٣) المرسلات : ٢٠ - ٢٣

وإدارة شؤونهما [١] ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [٢] .

وذكر الإمام القرطبى فى تفسيره أن الحسن قال : المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل ، ومن صلب المرأة وترائب المرأة [٣] .

وإن بعض المفسرين قد جعلوا المقصود بـ « الصلب » صلب الرجل ، و « الترائب » أضلاع المرأة ، إلا أن هذا سببه يرجع إلى أنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه العلم الحديث فى علم وظائف الأعضاء [٤] .

ولكن يظل القرآن فى إعجازه لكل زمان ومكان ، فيما ورد فيه من جوانب علمية ، والذى يثبت أنه من لدن حكيم خبير ، ولم يكن من صنع البشر .

٢ - العلقة :

وهكذا تم التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة فى خلية واحدة ، وقامت بالانقسام المتتالى ، إلى أن تصبح كثمرة التوتة تسمى بالكرة الجرثومية ، وحجمها لا يزيد عن رُبع مم [٥] ، وعندئذ يأتى دور العلقة ، حيث تعمل على العلوق والتشبث [٦] ، فى جدار الرحم الخلفى ، وبالذات فى النصف العلوى منه [٧] ، وذلك فى نهاية الأسبوع الأول من عملية التلقيح [٨] .

---

(١) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٥٤

(٢) الطارق : ٥ - ٧

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٨ ص ٦٤

(٤) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٢٤١
أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٩ ص ١٤١

(٥) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٧

(٦) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٣٤٣

(٧) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٣

(٨) عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٠٠

وهنا تتميز الخلايا أو الكرة الجرثومية إلى طبقتين [١] :

(أ) طبقة خارجية : وتتكوّن من خلايا أكلة ومغذية على شكل زغابات ، لتقوم بعملية قضم الجدار الرحمى الخلفى ، لتصل إلى الدم الغليظ ، لتأمين غذائها وغذاء الجنين ، مما يحتاجان إليه من الماء ، والسكريات والنشويات .... إلخ ، وينسكب الدم على شكل برك حول هذه العَلقة .

(ب) طبقة داخلية : وهى جزء صغير من العلقة ، يتكون منها الجنين .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَنُقِرُّ فِى الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [٢] .

فإن هناك من علماء التفسير من جعل ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ صفة للنُطفة [٣] أى نُطفة مُخَلّقة وغير مُخَلّقة .

فهل يكون المراد : أن النُطفة تتميز عند العلوق بجدار الرحم إلى قسمين ، جزء مُخلّق ، وهو الطبقة الداخلية ، والتى يكون منها تكوين الجنين ، والجزء الآخر غير مُخلّق ، وهو الذى يتكون من الخلايا الآكلة والمغذية ، إلا أننى أميل إلى أن ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ صفة لمُضغة كما سيأتى إن شاء الله .

ومن هنا يرى العلم الحديث أن كل خلية ، أو طائفة من الخلايا ، من الطبقة الداخلية ، تختص فى بناء جزء معين فى تكوين الجنين ، والتى كان مجموعها من خلية واحدة [٤] .

---

(١) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٥ .
د . محمد على البار : خلق الانسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٩
(٢) الحج : ٥
(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٤٣٦
(٤) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (مرجع سابق) ص ٨٢ - ٨٥
ويلارد أولسون : تطور نمو الاطفال ، ترجمة د . إبراهيم حافظ وآخرين ، عالم الكتب ، ١٩٦٢م ، ص ٧٧

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ (٢) .

« والعَلقة فى اللُّغة : علق الشئ بالشئ : نشب فيه ، واستمسك به ، وعلق فلاناً : تمكن حبه فى قلبه ... والمُعَلَّقة : التى لا يعاشرها زوجها ولا يُطلقها » (٣).

فالمفسرون حينما يُفسرِّون العَلقة بالدم الجامد ، أو الدم الغليظ (٤) إنما يعتمدون على التشخيص بالعين المجردة ، والعَلقة فى بداية نموها لا تُرى بالعين المجردة ، وتكون محاطة بالدم الغليظ كما سبق .

والعلم الحديث عندما يكشف الحقيقة ، بما أُوتى من وسائل التشخيص الدقيقة ، فإنه لا يستطيع أن يلوم المفسرين على تشخيصهم ، خاصة أنهم لم يبعدوا كثيراً عن الحقيقة ، ولكن يظل الإعجاز للقرآن الكريم (٥) .

٣ - مرحلة المُضْغَة :

إن الجنين يواصل نموه ، وكل حلقة تليها حلقة أُخرى متواصلة دون انفصال ، والمُضغة تختلف بحسب الماضغين (٦) ، كما أن حجم الجنين فى هذه المرحلة يختلف من جنين لآخر ، وذلك للاختلاف فى عملية النمو من إنسان لآخر .

فالجنين حتى بداية الأسبوع السادس - منذ بدء عملية التلقيح - يشبه كثيراً

---

(١) الانفطار : ٦ - ٨ (٢) آل عمران : ٦

(٣) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٣٥٢

(٤) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٥

البيضاوى : أنوار التنزيل واسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٤٣٩

(٥) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٧

(٦) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٤٦٩

جنين الزواحف والقردة والخنازير والأرانب .... وغيرها [١] ، وطوله فى هذه المرحلة (٥ مم) تقريباً [٢] .

وفى بداية الأسبوع السابع تتضح المعالم الرئيسية للجنين ، الرأس والعينان ، وبراعم الأطراف [٣] .

وفى الأسبوع السابع والثامن يبدأ ظهور مراكز العظام بطريقتين وهما [٤] :

(أ) عظام غضروفية : وهى تتكوَّن فى البداية من الغضاريف ، ثم يحل محلها بالتدريج العظام ، عن طريق القيام بامتصاص الغضاريف ، مثل عظام الأطراف ، والعمود الفقرى ، وجزء من قاع الجمجمة .

(ب) عظام غشائية : حيث تنمو العظام على رقاق غشائى ، دون أن يسبقه مرحلة ظهور الغضاريف ، مثل عظام الجمجمة .

وهكذا تظهر العظام وتنتشر ، ثم يكسوها اللَّحم (العضلات) ، وتتصل العضلات بالأعصاب .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [٥] .

---

(١) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٦
د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٣٨
سميع عاطف الزين : آدم والتكوين (مرجع سابق) ٤١ - ٤٢

(٢) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٧

(٣) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٤١ .
عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٠٢ - ١٠٣

(٤) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٤٨-١٥٣
د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٥

(٥) الحج : ٥

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

ويتضح من الآية الثانية ، أن بداية مرحلة المُضغة تسبق ظهور عظام جسم الجنين ، فهل يكون المراد من وصف المضغة بـ ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ ما قبل الأسبوع السابع ؟ والتى يكون فيها الجنين يشبه جنين الزواحف والخنازير ... إلخ بحيث يكون المراد بـ « مُخلَّقَة » أنها مرحلة من مراحل الخلق ، فـ «مُخلَّقة» فيها معنى الكثرة ، فما تتابع عليه الأطوار فقد خُلِق خلقاً بعد خَلْق ، وإن كان نُطفة فهو مخلوق ، « وغير مُخلَّقة » من جهة التصوير ووضوحه (٣) .

ولعل فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ (٤) ، ما يشير إلى المرحلة التالية فى الأسبوع السابع والثامن ، والتى تتضح فيها المعالم الرئيسية للجنين ، وتميزه عن تلك المرحلة السابقة ، فيما قبل الأسبوع السابع ، وذلك لأن حسن الخلق والتصوير تبدأ وتتحدد من هذه المرحلة إلى خروجه طفلاً (٥) .

فكأن فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ إشارة إلى ظهور الصورة المميزة للإنسان عن غيره من الحيوانات والطيور ... وأى صورة أحسن من هذه الصورة ! فالنُطفة ، والعَلقة ، والمُضغة كل منها مُخلَّقة وطور من أطوار

---

(١) المؤمنون : ١٢ - ١٦ (٢) البقرة : ٢٥٩

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٤٣٦

(٤) المؤمنون : ١٤

(٥) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٨

الخلق[1] . فإن فى ظهور العظام وكسوها باللّحم تمييزاً واضحاً للإنسان عن تلك الصورة السابقة ، وإن علم الأجنة - فى العصر الحديث - حينما يكتشف أن بداية التصوير للجنين تقع فى الأسبوع السابع منذ بداية التلقيح ، فإن السُنّة النبوية قد جاء فيها ما يُثبت ذلك .

عن حذيفة بن أُسيد الغفارى رضى اللّه عنه أنه قال : ... سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث اللّه إليها مَلَكاً فصوّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : يارب ؛ ذكر أم أُنثى ؟ فيقضى ربُّك ما يشاء ... » [2] .

ولقد تعرّض القرآن الكريم إلى مراحل خلق الإنسان بأساليب مختلفة ، فمرة يذكر المراحل الثلاث ، وأُخرى يذكر مرحلتين ، أو مرحلة واحدة منها ، ومن هذه المراحل إلى مرحلة تمام الخلق ، فالقرآن تناول الخلق فى كل مرة من زاوية لتكتمل الصورة ، وذلك لحكمة بيانية وبلاغية ، لما يُحققه هذا الأسلوب من العبرة والموعظة فى إثبات القدرة الإلهية فى مخلوقاته ، والتى يرفضها الملحدون ، لقصور عقلى أو عناد أو غرور .

فالعبرة والموعظة هى هدف القرآن الأول ، إذ ليس هو كتاب أحياء أو طب ، وإنما يذكر شيئاً من ذلك للتحدى .

كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدتُّ إِلَى رَبِّى لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّى وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَداً ﴾ [3] .

ففى هذه الآيات نقلتان رائعتان فى الخلق ترسم فى الذهن ثلاث مشاهد فى مراحل خلق الإنسان : تراب ، ونُطفة ، ورجل .

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٤٤.١

(٢) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ٣ ، جـ ٤ ص ٢٠٣٧

(٣) الكهف : ٣٦ - ٣٨

فالتراب - الجماد - الذى يمشى عليه ، ويُباع بأبخس الأثمان .. إنه هو أصل الإنسان ، لأنه يتغذى منه ، عن طريق النباتات والحيوانات ، حيث إن النباتات تمتص عناصرها من التراب . كما أن الحيوانات تتغذى على النباتات ، وبالتالى فإن عناصر الإنسان هى عناصر التراب [١] .

فهذه العناصر المتمثلة فى الغذاء تمتصه المعدة ، والأمعاء ، ثم يتحوّل إلى دم ، ثم غذاء لجميع أجزاء الجسم بما فيه الخصية والمبيض ، والذى فيهما يتكوّن الحيوان المنوى والبويضة ، فانظر إلى هذا التراب كيف تحوّل إلى حيوان منوى وبويضة ، وانظر إلى النُطفة التى تتكوّن من اتحاد الحيوان المنوى والبويضة فى خلية واحدة لا تُرى بالعين المجردة ، هذه النطفة التى لم ترس بعد فى مقر لها فى الرحم ، ثم انظر إلى الإنسان التام الخَلق .

كيف تحوّلت هذه الخلية الواحدة التى لا تُرى بالعين المجردة إلى إنسان ، ذى خلايا مختلفة ، خلايا عصبية ، وخلايا عظمية ، وخلايا عضلية ... [٢] إلخ ، كيف تميزت هذه الخلايا المختلفة من خلية واحدة ذات صفات جسمية مختلفة .

إن العلم الحديث رغم ما أُوتى من وسائل التشخيص لم يصل حتى الآن إلى تعليل علمى دقيق [٣] ، مع أنها أُمور تقع عليها الحواس ، وإنما يقفون أمام ذلك مشدوهين ، فهذا الإنسان من جانبه المادى ، فما موقفهم أمام جانبه الروحى ، الذى لا تقع عليه الحواس ؟ إن العبرة والموعظة ستكون أكبر بكثير .

وكقوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾[٤] .

---

(١) الكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول - ترجمة شفيق أسعد فريد ، مكتبة المعارف ببيروت ، ١٩٧٤ م ، ص ١٠٥

(٢) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (مرجع سابق) ص ٧٩

(٣) عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٠٤

(٤) السجدة : ٧ - ٩

كما أن فى هذه الآيات نقلة رائعة فى الخلق ، من الماء المهين الذى يسكبه الإنسان ، ويحتقره ، فإذا سواه اللّه تعالى ونفخ فيه من روحه ، فإذا هو بعد ذلك إنسان ، يتصف بالسمع والأبصار والأفئدة ...

فمن الحالة التى كان عليها الإنسان قبل تكون النطفة « ماء مهين » إلى حالة تمام الخَلق ، فتأمل ... وستجد الكثير الكثير مما يُحيِّر العقول ، وستجد العبرة والموعظة فى ذلك ، والتى هى هدف القرآن .

كما أن السجع فى « من طين » و « ماء مهين » يؤدى إلى حسن فى النغم الموسيقى للعبارة ، والذى له أثر فى البيان ، لوقوعها موقعها ، لأن علو الفواصل القرآنية فى البلاغة أنها واقعة فى موقعها .

فالمعانى هى المقصود الأول ، والألفاظ يحسن نغمها وموسيقاها لأنها تابعة لذلك .

وكقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ (١) .

فهذه النطفة الأمشاج أو الأخلاط (٢) ، التى تتكوَّن من (٢٣) من الصبغيات من الذكر ، و (٢٣) من الصبغيات من الأنثى ، فأين السمع والبصر وغيرهما قبل التقاء الحيوان المنوى مع البويضة ، هل هى مع الحيوان المنوى أم مع البويضة أو معهما ؟

ولكن من هذه النُطفة الأخلاط من الذكر والأنثى نجد الإنسان التام الخَلق فى أحسن صورة ، فتبارك اللّه أحسن الخالقين .

---

(١) الإنسان : ١ - ٣

(٢) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٤٩٨

وكقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ، تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا ، لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَلاَ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٢) .

فهذه النُطفة لم تستقر بعد فى الرحم ، وهى تبدأ من خلية واحدة ، إلى أن تصبح عدة خلايا كالكرة الجرثومية ، وغذاؤها معها ، ولكن سينفد خلال أسبوع من عملية التلقيح ، من ذا الذى هداها إلى أن ترسو فى النصف العلوى من جدار الرحم الخلفى ، لتواصل مسيرة النمو ؟ (٣) .

إن فى هذا التحول من النطفة إلى رجل يخاصم فى أمر ربه بعد أن كمل نموه، وينكر فضل اللّه تعالى عليه ، ما يرشده إلى أن يبحث فى أصله فى مرحلة النُطفة ، أين كانت قدراته الجسمية ، والعقلية ، والنفسية ، التى يتمتع بها الآن ؟

وكقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٤) .

فالآيات الكريمة تذكر مرحلة من مراحل الخلق ، وتطوى المراحل الأخرى بهدف إظهار القدرة الإلهية ، وفضل اللّه تعالى على عباده .

وذلك بأن ينظر الإنسان بين مرحلة تمام الخَلق ، ومرحلة العَلقة ، فالعَلقة الصغيرة فى الحجم (٥ مم) (٥) وتتشبث فى جدار الرحم الخلفى لتنمو وتتميز إلى خلايا مختلفة ، خلايا عصبية ، وعضلية ، وعظمية ... (٦) ... إلخ ، مَنْ

---

(١) النحل : ٣ - ٥ (٢) يس : ٧٦ - ٧٨

(٣) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٣

(٤) العلق : ١ - ٥

(٥) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ، ص ٧٧

(٦) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (مرجع سابق) ص ٧٩

ذا الذى هداها إلى هذا ؟ فتخرج إنساناً كاملاً ، ذا إمكانيات هائلة فى الإدراك والتعلـم ... وإن ذلك يرجع إلى إمكانيات كامنة فى العَلَقة .

وإن الجُناس بين « خلق » و « علق » يؤدى إلى حسن فى النغم ، والموسيقى، مما يكون له زيادة فى البيان فى هز القلوب ، لتحقيق العبرة والموعظة ، فهو يُكمِّل هدف الآيات .

وليست الموسيقى والنغم هى الهدف ، حيث إن بلاغتها وسموها فيه إنما هو بوقوعها فى موقعها .

* * *

• فى ظلمات ثلاث :

قال تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ، يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ﴾ (١) .

لقد اختلف المفسرون فى تحديد المراد بـ « ظلمات ثلاث » - قديماً وحديثاً - فمنهم من حدَّد الظلمات بعد علمية التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة ، ولعل أهمها (٢) :

(أ) ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة .

(ب) ظلمة المشيمة ، والرحم ، والليل .

(جـ) ظلمة غشاء السلى ، والمشيمى ، والساقط (٣) .

---

(١) الزمر : ٦

(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٧ ص ٥٦٨ .
الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٣٨٨

(٣) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ، ص ٨ .

وإن بعضهم حدَّدها من مرحلة ما قبل عملية التلقيح إلى ما بعدها ، ولعل أهمها :

(أ) ظلمة صلب الرجل ، والبطن ، والرحم [١] .

(ب) ظلمة المبيض ، وقناة الرحم ، والرحم [٢] .

فـ « فى بطون » متعلق بـ « يخلقكم » وكذلك الجار والمجرور فى « فى ظلمات ثلاث » [٣] ، ومن هنا يكون المعنى المراد بـ « من بعد خلق » أحد الاحتمالات التالية :

(أ) إنه خُلِقَ فى مراحل متتالية بعد عملية التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة : نُطفة ، عَلَقة ، مُضغة ... فى ظلمات ثلاث ، وهى : ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة .

والمشيمة فى مرحلة النُطفة وجزء من مرحلة العلقة تتمثل فى الطبقة الخارجية منهما ، حيث يتكوَّن منها الغشاء المشيمى ، والتى سبق وأن أوضحناها فى مرحلة العَلَقة .

ويمكن أن يكون المراد : أنه خُلِق خلقاً متتالياً فى مراحل قبل وبعد عملية التقليح فى ظلمات متفرقة ، وهى ظلمة صلب الرجل ، والبطن ، والرحم ، أو القول بأنها ظلمة المبيض ، وقناة الرحم ، والرحم .

(ب) إنه خَلْقٌ سابق لمرحلة الخلق فى بطون الأُمهات ، وهو خلق الحيوان المنوى والبويضة ، ثم خلق الجنين فى ظلمات ثلاث وهى : ظلمة البطن ، والرحـم ، والمشيمة .

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٧ ص ٥٦٨ .

(٢) عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ٧ ص ٨٥ حاشية .

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٤٥ .

(جـ) أن الخلق فى بطون الأُمهات فى ظلمات ثلاث تسبقه مرحلة من الخلق، وهى النُطفة ، وجزء من مرحلة العَلَقة ، قبل ظهور هذه الظلمات ، وهى غشاء السلى ، والغشاء المشيمى ، والغشاء الساقط . وهى تتكوّن بالتعاون بين الطبقة غير المُخلّقة فى العَلَقة والرحم .

بل هل يجوز أن يكون الجار والمجرور « فى ظلمات ثلاث » متعلق بـ «خلق» فى « من بعد خلق » وتكون الظلمات الثلاث سابقة للخلق فى بطون الأُمهات ، وأن يكون الحيوان المنوى والبويضة فى ظلمات ثلاث مع بعضها ، أو متفرقة حيث تكون مراحل للتكوين وكل مرحلة فى ظلمة كالخصية للرجل ، والمبيض للمرأة ، والصلب والترائب والقلب لهما مثلاً .

والراجح - واللّه أعلم - أن المراد بالظلمات الثلاث : ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة ، لأنها ظلمات للجنين من بداية الخلق فى بطون الأمهات ، ولأن بداية خلق الإنسان إنما هو بالتقاء الحيوان المنوى بالبويضة ، ليكوّنا النطفة ، ثم تتحوّل إلى علقة ثم مُضغة ... فهو خلق فى مراحل متتالية .

وليس هنالك مانع من أن يكون فى قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ إشارة إلى أن هذه الظلمات يسبقها خلق للحيوان المنوى والبويضة قبل خلق الجنين فى هذه الظلمات .

أما الأقوال الأُخرى فمرجوحة لما يأتى :

(أ) إن ظلمة اللّيل ليست خاصة بالجنين ، وأنها ليست دائمة .

(ب) أما القول بأن الظلمات الثلاث هى ظلمة صلب الرجل ، والرحم ، والبطن ، فإنه يوزع الظلمات بين ما قبل عملية التلقيح وما بعدها .

كما أن صلب الرجل جزء من الخلق ، وماذا عن صلب المرأة وترائبها ، أو المبيض ؟

وكذلك القول بأن المراد بها ظلمة المبيض ، وقناة الرحم ، والرحم ، فإنه خص الخلق فى تكوين وخروج البويضة ، وهو جزء من الخلق ، فماذا عن الحيوان المنوى ؟

ولقد تعرفنا فى الفصلين السابقين على وجهة نظرة القرآن الكريم والعلماء المخبريين فى تكوين الإنسان .

فما هى وجهة نظر بعض علماء الطبيعة من الماديين ؟

* * *